ملخص البحث

الربوبية أحد أصول الاعتقاد وركائز الإيمان ، والإنسان في ضرورة إليها ، إلى أن يؤمن برب واحد خلقه وكل شيء وهو يدبره فلا يحصل له النفع إلا بخلقه وتقديره ولا يندفع عنه ضر إلا بخلقه وتقديره ، فتسكن نفسه وتركن إلى خالقها ومدبر أمرها وتسلم له وجهها ، بغير هذا لن يحصل العبد سعادة واستقراراً وطمأنينة وقد سرت في العالم منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي نظريات فكرية تلحد في شأن الربوبية ، وتربط الإنسان بالمادة أو بذاته أو بالاقتصاد ، فانتشر القلق والاضطراب الروحي والفكري ، ودخل من هذه الثقافات الغربية في عقول وتوجهات بعض المسلمين الروحية بطريق أو بآخر.

وهذا بحث في تأسيس العلم بالربوبية وتقعيد أولوياتها العلمية وتقعيد أولوياتها العلمية وثوابتها المبدئية ، وإبطال أصول الإلحاد فيها ، على وجه الجملة في اختصار يأخذ بمجامع الموضوع ويُذْكر بمهماته التي في تحصيلها تحصيله . وهو في أربعة مباحث :

الأول : تعريف الربوبية .

الثاني : أدلة الربوبية .

الثالث : أحكام الربوبية .

الرابع : إبطال الإلحاد في الربوبية .

أ.د.محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ومن اتبـــع بإحســـان نهجه ،

أما بعد : فان الربوبية أحد أصول الاعتقاد وركائز الإيمان وأركان التوحيد ، والإنسان في ضـــرورة إليهـــا ، إلى الإيمان برب واحد خلقه وكل شيء وهو يدبره فلا يحصل له نفع إلا بخلقه وتقديره ، ولا يندفع عنه ضر إلا بخلقه وتقديره ، فتسكن نفسه وتركن إلى خالقها ومدبر أمرها وتسلم له وجهها ، بغير هذا لن يحصِّل العبـــد ســـعادة واستقراراً وطمأنينة .

وقد سرت منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي في بلاد الغرب نظريات فكرية تلحد في الربوبيـــة ، وتـــربط الإنسان بالمادة أو بالاقتصاد أو بذاته ، فانتشر فيهم القلق والاضطراب الروحي والفكري ، ودخل مـــن هـــذه الثقافات إلى عقول وتوجهات بعض المسلمين الروحية بطريق أو بآخر . فصار الأمر بحاجة إلى تذكير دائـــم وفي كل وسيلة تذكير ممكنة ، وأهمها الوسائل الثقافية .

وهذا بحث علمي في «الربوبية» يدرسها في أربعة مباحث :

الأول : تعريف الربوبية .

الثاني : أدلة الربوبية .

الثالث : أحكام الربوبية .

الرابع : إبطال الإلحاد في الربوبية .

استعنت الله وكتبته رجاء نفع الدارسين والقارئين ، وقد أردته مختصراً يأخذ بمجامع المهمات في الموضوع ، ويقف على رؤوس العلم فيه التي في تحصيلها تحصيله ، وضمَّنت هؤلاء الورقات سعيي لمرادي ، فان حصل فلله الحمـــد والفضل أولاً وآخراً لا شريك له ، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان .

هذا، وقد نشرت هذا البحث مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) في عددها الحـــادي عشر الصادر في ربيع الآخر ١٤٣٠هـــ، من الصفحة رقم (١٣) إلى الصفحة رقم (٤٩) .

أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني

الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

المبحث الأول : تعريف الربوبية

(الربوبية) مصدر من رب يرب رباية وربوبية وتربية ، وفي الألفاظ المشتقة من هذا الفعل لفظان مختصان بالله سبحانه لا يطلقان على غيره :

١- الاسم : «الرب» ، فهذا الاسم مطلقاً معرفاً بالألف واللام لا يطلق إلا على الله عز وجل ، فهو «الرب» سبحانه ، ولا يطلق على غير الله إلا مضافاً فيقال للمخلوق : رب كذا ، كقوله ﷺ في أشراط الساعة : «حتى يهم رب المال من يقبل صدقته»[١] وكما في حديث رافع بن خديج «أن النبي ﷺ أمر رب الأرض أن يزرعها أو يزرعها»[٢] ، وفي مسند أحمد عن أبي الأحوص عن أبيه أن النبي ﷺ قال له : «أرب إبل أنت أو رب غنم»[٣] ، وقد ورد إطلاق «الرب» هكذا معرفاً بالألف واللام في قول الحارث بن حلزة : «وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء»[٤] أراد به الملك ، وهو لضرورة الشعر ، ولم يكن سائراً في استعمالهم .

وإنما اختص اسم «الرب» بالله تعالى لأن الألف واللام تدل على العموم بمعنى رب كل شيء ، وليس كذلك إلا رب العالمين عز وجل ، قال ابن قتيبة : «ولا يقال لمخلوق : هذا الرب ، معرفاً بالألف واللام كما يقال لله ، إنما يقال : رب كذا ،فيعرف بالإضافة ، لأن الله مالك كل شيء ، فإذا قيل : الرب ،دلت الألف واللام على معنى العموم ، وإذا قيل لمخلوق : رب كذا ورب كذا نسب إلى شيء خاص لأنه لا يملك شيئاً غيره»[٥].

٢- المصدر «الربوبية» فلا يطلق إلا لله عز وجل ويطلق لغيره : الرباية والتربية[٦].

والراء والباء أصل يدل على معنى جامع هو إصلاح الشيء والقيام عليه ولزوم ذلك[٧] . وهذا المعنى يناسب أن يطلق عليه اسم «التربية» ولذلك قال الراغب : «الرب في الأصل : التربية»[٨].

فمعنى الربوبية : تولى الله سبحانه خلقه بالتربية ، يخلقهم ويصلح لهم معاشهم ويقدر لهم أقدارهم ويقضي في مآلهم ويدبر شأنه .

وربوبية الله على خلقه تجتمع في ثلاثة أصول :

---

(١) أخرجه البخاري ، الصحيح من الفتح ١٣ / ٨٢ رقم ٧١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٣ / ١١٨١ رقم ١٥٤٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٨ / ٤٦٤ رقم ١٧٢٢ .

(٤) انظر الصحاح ١ / ١٣٠ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/٢٧٩.

(٥) تفسير غريب القرآن ٩.

(٦) انظر المفردات للراغب ١٨٤.

(٧) انظر معجم مقاييس اللغة ٢ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٨) المفردات ١٨٤.

الخلق ، والملك ، والتدبير .

فهو خلق الخلق لا خالق غيره ، والخالق يملك ما خلق لا ملك لغيره فيه ، والملك المالك يتصرف في ملكه ويدبره لا تدبير لغيره فيه ، والتدبير يجتمع في ثلاثة أصول:

١) تسيير نظام الكون ، من خلق السموات والأرض وسكانهما ، وخلق الليل والنهار والموت والحياة ونحو ذلك .

٢) القدر من قسمة الأرزاق والأعمار والهيئات ونحو ذلك .

وهذان في الدنيا .

٣) البعث والنشور والحساب والجزاء .

وقد دل كتاب الله على أصول الربوبية الثلاثة : قال سبحانه : «وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ»[١] **فذكر الخلق في قوله «يخلق ما يشاء» والملك في قوله «ولله ملك السموات والأرض» والتدبير في قوله «والله على كل شيء قدير» ومثله قوله سبحانه :** «لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ...»[٢] **، الآية ، وقوله :** «إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ»[٣] **وقوله :** «فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ»[٤].

ثم جاءت الآيات في كل أصل من أصول الربوبية الثلاثة مجملة ومفصلة ، ففي الخلق أجملت الآيات في نحو قوله تعالى : «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ»[٥] **وقوله :** «هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ»[٦] **وقوله :** «أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ»[٧] **وغيرها . وفصلت ، ففي خلق الإنسان قال :** «ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ»[٨] **وقال في**

---

(١) المائدة ١٧.

(٢) الشورى ٤٩ .

(٣) التوبة ١١٦.

(٤) الملك ١٥.

(٥) الزمر ٦٢ .

(٦) فاطر ٣ .

(٧) الأعراف ٥٤.

(٨) الرحمن ١.

الأنعام : «وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ »[1] **وقال في النبات** : «سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ »[2] **ونحو ذلك في الجبال والبحار والسحاب والأرض والسموات والسموات والليل والنهار وأنواع المخلوقات .**

وفي الملك أجملت الآيات في نحو : «تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ »[3] **وقوله** «وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ »[4]

وقوله : «لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّ »[5] **وفصلت في نحو قوله** : «أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ »[6] **وقوله** «مَلِكِ ٱلنَّاسِ »[7] **وأخبر أنه سبحانه في الدنيا يؤتي خلقه ملكاً** : «وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ »[8] ، «قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ »[9] **ويخلص لنفسه الملك يوم القيامة فلا يملك إلا هو** : «لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ »[10] ، «وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ، «ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ »[11] **وغيرها من الآيات .**

وفي التدبير أجملت الآيات في نحو قوله سبحانه : «يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ »[12] **وقوله** : «ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ »[1].

(١) النحل ٥.
(٢) يس ٣٦.
(٣) الملك ١ .
(٤) المائدة ١٧ .
(٥) المائدة ١٢٠ .
(٦)يونس ٣١.
(٧)الناس ٢.
(٨)البقرة ٢٤٧ .
(٩) آل عمران ٢٦.
(١٠)غافر ١٦.
(١١)الحج ٥٦ .
(١٢)السجدة ٥ .

وفصلت بذكر أصول التدبير الثلاثة التي ذكرنا ،

ففي تسيير نظام الكون قال سبحانه : «يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ »[2] **وقال :** «وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ »[3] **وغيرها من الآيات وفي القدر قال سبحانه :** «إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ »[4] **وقال :** «وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا »[5] **وقال :** «وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا »[6] **وغيرها من الآيات** .

وفي البعث والنشور والحساب والجزاء قال سبحانه : «زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ»[7] **وقال :** «إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم »[8] **. وغيرها من الآيات .**

والربوبية فيها عموم وخصوص ، فعمومها : تربيته سبحانه جميع خلقه بالتدبير يخلقهم ويرزقهم ويحييهم ويميتهم : «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ »[9] **فله الوكالة على كل شيء خلقاً وملكاً وتدبيراً .**

وخصوصها : تربيته لأوليائه من خلقه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم .

وحقيقة الربوبية العامة : تربية الخلق والملك والتدبير .

وحقيقة الربوبية الخاصة : تربية التوفيق للخير والعصمة من الشر .

---

(١) يونس ٣ .

(٢)الزمر ٣٩

(٣)الأعراف ٥٧ .

(٤)القمر ٤٩.

(٥)الفرقان ٣ .

(٦)الأحزاب ٣٨ .

(٧) التغابن ٧ .

(٨) الغاشية ٢٥ – ٢٦.

(٩) الزمر ٦٢.

قال تعالى يحكي قول سحرة فرعون لما آمنوا : «قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ »[1] فخُصِّص موسى وهارون بربوبية تمتاز عن الربوبية العامة للخلق ، ومثله قول الله في إبراهيم عليه السلام : «إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ »[2] . وقول الله : «قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ »[3] وقول أصحاب الكهف «رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ »[4] ونحوه : «۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ »[5] وقوله : «قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ »[6] ، وقال هود عليه السلام : «إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ »[7] ، وقال موسى : : «إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم »[8] وقال المسيح : «يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ »[9] وقال وقال الله لنبيه محمد : «قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ »[10] في جميع هؤلاء الآيات إضافة الربوبية إلى أصفياء الله مع إضافتها إلى عامة الخلق ، وهما غيران إحداهما أخص من الأخرى ، فهو رب أصفيائه بهدايتهم وتوفيقهم وإصلاحهم ورب العامة بخلقهم وتدبيرهم وقهرهم .

وسر الخصوصية في الربوبية الخاصة هو : أن تمام الخضوع للرب وأكمله إنما يكون بالخضوع لأمره الشرعي، وهذا لا يكون إلا من أهل محبته وولايته ، فهم شاركوا جميع الخلق في الخضوع للرب قهراً ورغماً واختصوا بالخضوع لأمره ونهيه اختياراً وانقياداً ، فهم أحبوا الله الذي له عليهم الربوبية العامة فوالوه وانقادوا

(١) الأعراف ١٢١ .

(٢) البقرة ١٣١ .

(٣) الأنعام ١٦٤ .

(٤) الكهف ١٤ .

(٥) غافر ٦٦ .

(٦) الأنبياء ١١٢.

(٧) هود ٥٦ .

(٨) غافر ٢٧ .

(٩) المائدة ٧٢ .

(١٠) البقرة ١٣٩.

لشرعه ، أما بقية العامة فأحبوا غير ربهم الذي له عليهم الربوبية ، فوالوا غيره ، فهم أولياء محبوباتهم من دون الله وإن كانوا مربوبين له سبحانه لا لغيره ، فلما كان ذلك كذلك اختص سبحانه أولياءه بخصائص من ربوبيته أعرض بها عمن أعرض عنه من مربوبيه .

ويترتب على ذلك انقسام العبودية إلى قسمين :

عبودية عامة وعبودية خاصة . فأهل العبودية العامة لهم الربوبية العامة وأهل العبودية الخاصة لهم الربوبية الخاصة.

المبحث الثاني : أدلة الربوبية :

يدل على الربوبية دليلان هما أصل الدليل عليها ، ولكل واحد منهما شواهد تقرره ،وهما :

- **الفطرة – وهي دليل علمي مركوز في أصل الخلقة .**
- **الآيات – وهي دليل نظري – مبثوث في الأنفس والآفاق المذكورة فى قوله جل شأنه:{سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم} – فصلت٥٣ –**

١– الفطرة : هي قاعدة دليلي الربوبية ، وهي لا تحتاج إلى الآيات ، لأنها تعرف الربوبية بدون الآيات ، ولو لم تكن تعرف الربوبية ما عرفت أن الآيات دالة عليها[١] ، وإنما تفيدها الآيات زيادة اليقين ورسوخ العلم ما دامت دامت سليمة من الاجتيال ، فإن اجتيلت عن وجهها وأصلها أفادتها الآيات تذكيرها وتقويمها فتردها إلى أصلها . ولذلك لو أن الخلق تركوا وفطرتهم التي فطروا عليها لم يتسلط عليهم شيطان ولا هوى لما عبدوا إلا الله وحده ، لأنهم لا يعرفون لهم رباً سواه . وحينما اجتالتهم الشياطين عن فطرتهم جاءتهم الرسل تذكرهم بما هو معلوم لديهم ، لم تأتهم بشيء جديد عليهم لا يعرفونه ، بل إنما كانت الحجة عليهم فيما انحرفوا فيه بما يقوم في فطرتهم من العلم والمعرفة بالربوبية .

ويجتمع في دلالة الفطرة أمران :

الأول : المعرفة التي ركزها الله في أصل الخلقة ، قال سبحانه : «فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ »[٢] **وقال ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»[٣].**

الثاني : الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم المذكور في قوله سبحانه : «وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ »[٤] **فالله عز وجل قرر بني آدم وأخذ العهد عليهم بإثبات الربوبية التي فطرهم على معرفتها والإقرار بها .**

---

(١) انظر الفتاوى ١ / ٤٨ .

(٢) الروم ٣٠.

(٣) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٣ / ٢٤٥ رقم ١٣٨٥ ، مسلم ٤ / ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨ .

(٤) الأعراف ١٧٢.

وقد نشأت عن الفطرة شواهد تقررها ، أظهرها : إجماع الخلق على الإقرار بالربوبية لواحد ، فإن الإقرار بالربوبية عام في البشر لم يدع أحد من الأمم أن للوجود أكثر من رب واحد ، وقد عبد الخلق آلهة كثر ولم يدَّع أحد أن لإلهه الربوبية ، بل الجميع مقرون بأن آلهتهم مربوبة لواحد ، وغاية ما نقل هو في نسبة بعض أفراد الربوبية إلى غير الواحد مع الإقرار بالربوبية العامة الشاملة لواحد ، كقول المجوس الثنوية بالأصليين «النور» و «الظلمة» وزعموا أن النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر ثم قالوا في الظلمة أنها مخلوقة للنور أو ناقصة عنه[1].

ومثله قول القدرية المعتزلة مجوس هذه الأمة بأن العباد خالقوا أفعال أنفسهم ليس لله عليها خلق .

ومن الشواهد أيضاً ميل الفطرة إلى الإلزامات العقلية التي تميز الحق وتعينه ، وقبولها هذه الإلزامات وسكونها إليها ، كالاستدلال بالأثر على المؤثر وبالفعل على الفاعل وبالمحدَث على المحدِث .

٢- الآيات : وهي مخلوقات الرب سبحانه الدالة عليه كالشمس ، والقمر ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، والبشر ، والماء ، والحجر ، وغيرها من مخلوقاته عز وجل .

وإنما كانت دالة على الربوبية لأنها علامات ، العلم بوجودها يستلزم العلم بموجِدها ، ودلالتها من وجهين :

الأول : افتقارها إلى الرب في وجودها وحدوثها .

الثاني : افتقارها إلى الرب في بقائها وتدبيرها بعد حدوثها .

فحاجتها إلى محدِث قبل حدوثها دليل على محدثها قال سبحانه : «أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ »[2] ، وقال:«أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ »[3].

وحاجتها بعد حدوثها إلى تدبير أمرها دليل على مدبرها ، قال سبحانه : «أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ »[4]، وقال : «قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ »[5].

وقد جمع الله الوجهين جميعاً في آيات منها قوله سبحانه : «أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ »[6] فقوله : «أمن يبدؤ الخلق» هو الوجه الأول وهو الافتقار للمحدث وقوله «ومن

(١) انظر الفتاوى ٣ / ٩٦ – ٩٧ .

(٢) الطور ٣٥ .

(٣) الواقعة ٥٩.

(٤) الملك ٢١.

(٥) الملك ٣٠

(٦) النمل ٦٤.

يرزقكم» هو الوجه الثاني وهو الافتقار للمدبر ، وكذا قوله سبحانه : «هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ »[1] **فيها الوجهان الإنشاء والتدبير .**

ولما كان كل شيء مخلوقاً لله ، أحدثه الله من عدم وهو يدبره ، كان كل شيء آية على ربوبيته سبحانه بنفسه ، فمجرد وجود المخلوق دال على ربوبية الله نفسه سبحانه .

فالآيات دالة بنفسها على الرب نفسه سبحانه ، ولذلك ورد في النصوص إطلاق كونها آيات إطلاقاً مباشراً غير مقيد وجعل ذلك دليل الربوبية ، كقوله سبحانه : «إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ »[2] **وقوله :** «وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ »[3] **وقوله :** «وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ »[4] **ونحو ذلك .**

فالآية تدل على ربوبية الله دلالة مباشرة ، وهذا بخلاف ما تسلكه المتكلمة من الاستدلال بوجود المخلوقات على حدوثها ثم بحدوثها على المحدِث ، فيجعلون دلالة الآيات على ربوبية الله لها بواسطة ، وبقيد دلالتها على الحدوث أولاً . وهي طريق باطلة لوجوه :

أولاً : لمخالفتها الطريقة الشرعية التي فيها أن الآية دالة بنفسها على المحدث سبحانه .

ثانياً : مخالفتها للفطرة التي تنسب الآية إلى محدثها سبحانه مباشرة .

ثالثاً : أن طريق المتكلمين لا يتصور معناها إلا مع الشك في إحداث الله لمخلوقاته فنحتاج إلى إثبات الحدوث أولاً وهذا يقال فيها ما قال الله : «أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ »[5] **.**

رابعاً : أنه قد وقعت منهم هذه المقالة الكفرية فقالوا : إن أول واجب على العبد الشك ليقع منه النظر في الكون ليصل إلى معرفة الله[6]**.**

---

(١) فاطر ٣.

(٢) البقرة ١٦٤ .

(٣) الإسراء ١٢ .

(٤) يس ٣٧ .

(٥) إبراهيم ١٠.

(٦) انظر المواقف في علم الكلام للايجي ٣٢ ، وفتح الباري ١٣ / ٣٥٠ .

خامساً : أنها ذريعة إلى الباطل ، فان الاستغراق في النظر في دلالة الوجود على الحدوث توقع الشبهة في القلب المريض على وجود الخالق سبحانه ، كما في الحديث «إن رجالاً سترتفع بهم المسألة حتى يقولوا : الله خلق الخلق فمن خلقه»[١].

سادساً : أنها أوقعتهم في هذا الباطل المذكور ولأجله عطلوا الله عن صفاته وشبهوه بالممتنعات أو المعدومات أو الناقصات .

والحق أن كل مخلوق دليل وآية على الرب سبحانه «هَل مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ؟!» . وفي كل شيء آية تدل على أنه الواحد .

وأظهر الشواهد المقررة لدلالة الآيات على الربوبية : معجزات الرسل ، فان معجزات الرسل آيات للربوبية .

قال الله : «وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ »[٢] **وقال سبحانه في نوح :** «فَأَنجَيۡنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ »[٣] **. وقال في لوط عليهم السلام** «فَنَجَّيۡنَـٰه وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ » **وقال عن مدين :** «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ »[٤].

ووجه تقرير معجزات الرسل لدلالة الآيات على الربوبية أن معجزات الرسل خوارق للسنن الجارية في الكون فهي تأتي على خلاف ما عهد الخلق وأجرى الخالق العادة به ، ولا يُخلف سنة جارية ويُجريها على خلاف المعتاد إلا الذي أجراها ، فمعجزات الرسل لا يستطيعها إلا الرب الذي خلق الآيات ولا تكون إلا منه سبحانه .

ومن الشواهد المقررة لدلالة الآيات على ربوبية الله سبحانه أن ما خلقه الله لا يستطيع الخلق صنع مثله قط ، وهو سبحانه لم يخلق شيئاً أقدر العباد على أن يصنعوا مثله ، بل قضى سبحانه أن يكون وجود ما أقدرهم عليه من صنعهم هم ، فهو سبحانه أقدر خلقه أن يصنعوا طعاماً مطبوخاً ولباساً منسوجاً وبيوتاً مبنية ونحو ذلك ،

---

(١) أخرجه احمد بهذا اللفظ ١٣ / ٢٠٢ رقم ٧٧٩٠ وهو في مسلم ١ /١٢٠ رقم ١٣٥.

(٢) الشعراء ٦٥ — ٦٧ .

(٣) الشعراء ١٧١ — ١٧٤ .

(٤) الشعراء ١٨٩ — ١٩٠ .

ولم يخلق لهم مثل ما يصنعونه من المطبوخات والمنسوجات والمبنيات ، ولكن ما خلقه هو سبحانه من حيوان ونبات ومعدن ونحوه فان الخلق لا يقدرون أن يصنعوا مثله ، لا يقدر العباد أن يصنعوا ما يشبه ما خلقه الله مثل الإنسان والفرس والأنعام والطير والحيتان ، ولا مثل الحنطة والشعير والعنب والرطب ، ولا مثل الذهب والفضة والنحاس ونحوه ، لا يقدر العباد أن يصنعوا مثل ما يخلقه الله ، وإنما غاية ما يصلون إلى صناعته أن يصنعوا ما يشبه ما خلقه الله من بعض الوجوه من غير أن يكون مثله ، فهو يشبهه من بعض الوجوه مع اختلاف الحقائق ، كما قد يصنعون ما يشبه الحيوان حتى يكون في صورة الحيوان وليس بحيوان وما يشبه النبات وليس بنبات ، وما يشبه المعدن وليس بمعدن ، والمصنوع لا يكون مثل المطبوع بحال[1] . ثم إن المواد التي يستعملها العباد في صنع ما يشبه ما خلقه الله مواد مخلوقة لا قدرة لهم على خلقها ، فيكون غاية ما يفعلون أن يستعملوا مما خلقه الله في صنع ما يشبه مخلوقاته ، لا يستطيعون أن يخلقوا كخلقه سبحانه[2].

ومن الشواهد المقررة لدلالة الآيات على ربوبية الله سبحانه ما فيها من الاشتراك في أسباب الوجود والبقاء مع ما فيها من الافتراق والتعداد ، فهي مفترقة في أنواعها وأجناسها وأصنافها ، متعددة في أفرادها ، وهي مع هذا مشتركة في التماثل أو التضاد ، فهي إما متماثلة يلتئم بعضها إلى بعض ، ويؤثر بعضها في بعض ، فيكون بعضها سبباً في وجود بعض أو بقائه وشرطاً له في ذلك ، كالإنسان أو النبات فالإنسان سبب في زرع النبات وإثماره والنبات سبب في غذاء الإنسان ، فكل منهما سبب في بقاء الآخر وشرط له ، وكأفراد الإنسان يلتئم ذكره بأنثاه فيكون ذلك سبباً في وجود الأفراد وشرطاً له ، وأفراد النبات كذلك سبب في وجود بعضها بعضاً وشرط له ، أو هي متضادة يعارض بعضها بعضاً ويضاده ويمنعه كالماء والنار ، فالماء يضاد النار ويمنعها ويكون سبباً في انعدامها .

وهكذا فهذا الاشتراك في كون المخلوقات كل منها سبب في وجود الآخر أو بقائه وشرط في ذلك ، أو سبب في انعدامه وزواله مع افتراقها وتعددها يوجب حاجتها إلى موجد أوجدها ومدبر دبرها على هذا النحو.

قال الله عز وجل : «وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »[3] والزوج يراد به النظير المماثل والضد المخالف[4].

---

(١) انظر الفتاوى ٢٩/٣٦٨-٣٦٩ .

(٢) هذا مع التنبيه إلى إن صنع هيئة الحيوان محرم لا يجوز وإنما يباح صنع هيئة الشجر والمعدن ونحوه مما لا روح فيه .

(٣) الذاريات ٤٩.

(٤) انظر الفتاوى ٢٠ / ١٨١ – ١٨٣ .

المبحث الثالث : أحكام الربوبية :

للربوبية أحكام متعلقة بها تترتب عليها وتجب لها ، منها :

١- وجوب توحيد الله وإفراده بها فهو واحد في ربوبيته لا شريك له ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية ظاهر ، فانه لا خالق في الوجود غير الله ولا مالك للخلق سواه ولا يدبر أمر الوجود غيره فليس شيء من الربوبية لغيره : «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ »[1]، «قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ »[2] ، «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ »[3] **فلا ند له في الربوبية ولا سمي ولا شريك ، وقد قرر سبحانه وحدانيته في الربوبية ببيان امتناع جميع وجوه الشركة فيها قال سبحانه :** «قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ »[4] **فنفى أن يكون لغيره ملك شيء في الوجود ملكاً مستقلاً ولو كان مثقال ذرة ، أو أن يكون لغيره شركة في الملك وإن لم يستقل بملك ، أو أن يكون أعان المالك في ملكه بوجه من وجوه العون الموجب للشركة ، أو أن يكون له نظير في منزلته ومرتبته فيكون له عليه جاه يخوله أن يشفع عنده من غير إذنه ورضاه ، أو أن تكون له عند غيره مصلحة يداريه لأجلها فيكون له أن يشفع عنده بغير إذنه ورضاه ، فتكون له كلمة على الرب يستخلص بها منه تدبيراً لا إرادة له فيه ؛ فإذا امتنعت أصول الشركة هذه امتنعت الشركة من أصلها ، فوجب توحيد الربوبية له سبحانه .**

٢- وجوب إثبات صفات الله عز وجل وإفراده بها على وجه الكمال المطلق المنزه من كل نقص وعيب الذي لا مثل له فيه ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية : أن أفعال الربوبية مثبتة لصفات الرب ، لأنها أفعال صادرة عن صفات قائمة بذاته ، وأفعاله كلها كمال لا عيب فيه فصفاته كمال كلها لا عيب فيها بوجه ، كمل ففعل جل وعلا.

٣- وجوب إفراد الرب بالعبادة وتوحيده في الألوهية ، وهذا أجلا أحكام الربوبية ظهوراً وأشدها وضوحاً ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية : أن الرب الذي خلق ويملك ويدبر الأمر هو المستحق للعبادة دون سواه ، فلا معبود بحق إلا هو ، إذ كل شيء غيره عبد له مربوب له منقاد لتدبيره فيجب أن ينقاد له في تأله ، ولهذا جاءت

---

(١) فاطر ٣ .

(٢) الرعد ١٦ .

(٣) الزمر ٦٢ .

(٤) سبأ ٢٢ — ٢٣ .

الرسل تحتج على أقوامها بما يعرفونه ويقرون به من توحيد الله بالربوبية على وجوب توحيده بالعبادة وإفراده معبوداً وحده دون غيره من الآلهة ، وجرت قاعدة القرآن على تقرير الألوهية بالربوبية .

٤- أن للرب معنى الربوبية قبل أن يوجد مربوب ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية : أن الربوبية صفة قائمة بذات الرب وتصدر آحادها عنه متى شاء ، فهو خالق قبل أن يوجِد مخلوقاً فلما شاء أن يوجِد المخلوق خلق ، وخلقه الخلق بعد أن لم يكن من تدبيره ، فهو لم يستفد صفة الربوبية من خلقه الخلق وتدبيره وإن كان الخلق إنما حدث حينما شاء سبحانه إحداثه ، وهو سبحانه من قبل أن يخلق الخلق على كل شيء قدير وكل أمر عليه يسير وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته .

٥- أن الرب أنشأ الخلق إنشاءً من عدم ولم يكن شيء من المخلوقات شيئاً قبل خلق الله له بل كان معدوماً ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية أن معنى الخلق : الإيجاد من عدم ، وهو أساس الربوبية ، ولو لم يكن الخلق معدوماً قبل إيجاد الله له لصح القول بقدم العالم ولم يكن لله عليه خلق وإنشاء ، قال تعالى : «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ »[١] وقال سبحانه : «وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا »[٢] وفي البخاري : «كان الله ولم يكن شيء غيره»[٣].

فكان الله وحده لم يكن شيء قبله ولا معه حتى أنشأ الخلق أول مرة ولم يكن شيئاً قبل أن يخلقه .

٦- أن كل شيء سوى الله عز وجل مخلوق ، فالله عز وجل بصفاته العلى هو الخالق وما سواه مخلوق ، ووجه تعلق هذا الحكم بالربوبية أن الله هو الرب وحده لا رب سواه ولا خالق غيره ، فليس في الوجود إلا هو سبحانه ومخلوقاته ، فيكون كل شيء مخلوقاً له ، قال سبحانه : «ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ »[٤] وقال سبحانه : «وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا»[٥] وهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ، فلا يخرج منه إلا الخالق سبحانه بصفاته

---

(١) يس ٧٨ – ٧٩ .

(٢) مريم ٩ .

(٣) الصحيح مع الفتح٦ / ٢٨٩ ، ح ٣١٩١ .

(٤) الرعد ١٨ والزمر ٦٢ .

(٥) الفرقان ٢ .

، **وقال سبحانه:** «هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ »[١] **فكل ما كان غيره فهو مخلوق ، وقال سبحانه :** «أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ»[٢].

(١) فاطر ٣ .

(٢) الأعراف ٥٤ .

المبحث الرابع : إبطال الإلحاد في الربوبية :

إن أدلة الربوبية وشواهدها حصن حصين في وجه الإلحاد فيها ، فما من إلحاد في الربوبية إلا وكان انكشاف عواره أبين بيِّنٍ وأوضح واضح ، وكان سوق صاحبه إلى الحق -إذا كان طالباً للحق- أقرب مأخذاً وأيسر سبيلاً ، كيف لا وكل قائل في الربوبية بقول إلحاد تنازعه في قوله فطرته المركوزة في أصل خلقته والآيات وشواهدها التي يراها ويحسها ويعيشها ، فهو في صراع مع داخله ، لا يجتمع ما يخرج منه من إلحاد مع ما استقر فيه من علم ، وصراع مع كل شيء حوله من خارجه ، لا يجتمع شيء منه لا في وجوده ولا في حركته مع ما يدعيه ، ولذلك ما وقع إلحاد في الربوبية إلا وقع مضطرباً مكشوف العوار ، لا يسوغ إلا لدى الشواذ من الخلق ولا يتابع عليه إلا الضالون .

وفيما يلي عرض لوجوه من الإلحاد في الربوبية وبيان بطلانها .

١- إلحاد من أنكر وجود الرب سبحانه :

وهو إلحاد الماديين الطبائعيين الدهريين من الماركسيين وهؤلاء أنكروا وجود خالق موجد للخلق ، وقالوا : الحياة مادة ولا يوجد شيء غير المادة ، وكل الأشياء والظواهر والكائنات المختلفة في العالم توحدها خاصية واحدة هي ماديتها ، ولا يوجد شيء خارج الطبيعة ، وأي عالم غيبي غير موجود ولا يمكن أن يوجد ، وما يقوم في المخيلة الدينية للناس عن الخالق والكائنات العلوية ليس سوى انعكاس خيالي لوجودهم هم .

والمادة عندهم أزلية أبدية لا بداية لها ولا تفنى ، ولكنها تتحرك والحركة لازمة لها ولا تنفك عنها ، وعن هذه الحركة تنشأ التغيرات في المادة ، وهذه التغيرات يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً فيزيائياً (تحول المادة من حالة إلى حالة كتحول الماء من السيولة إلى التجمد) ، أو ارتباطاً كيميائياً (تحول المادة إلى مادة أخرى كتحول الورق بالاحتراق إلى رماد) أو ارتباطاً بيولوجياً (التغير في الكائنات الحية كتغير جسم الإنسان في مراحل نموه) أو ارتباطاً وراثياً (انتقال صفات الكائن إلى آخر كالصفات التي يكتسبها الولد من والديه) أو ارتباطاً اجتماعياً (التغير في الحياة الاجتماعية كنشوء دولة وزوال أخرى)(١) ، وهذا هو الوجود ليس شيئاً غيره البتة ، لا موجد له ، هو موجود أزلاً بلا بداية ، وهو يتحرك ويتغير ويتطور من ذاته بلا نهاية .

وهذا الإلحاد ظاهر البطلان عقلاً وحساً وفطرة ،

أما ظهور بطلانه عقلاً وحساً :

فهو في الإلزام العقلي بين الوجود والعدم ، فيقال لهؤلاء : هل الأصل في المادة العدم أم الوجود ؟

إن كان الأصل العدم ، فمعلوم أن العدم هو النفي المحض للذوات وصفاتها ، فكيف استطاع العدم أن يتحول إلى الوجود؟!

---

(١) انظر «موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ» لحمد العوايشة ١٢٣ - ١٥٨ و «الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها» لجمعة الخولي ١٧٩ - ١٨٠ .

وكيف يكون منه تحولات تتحول بنفسها إلى الوجود؟! والتحول لا يكون إلا بقوة ، ومن أين القوة والأصل عدم؟! .

يستحيل في العقول الصحيحة أن يتحول العدم بنفسه إلى الوجود أو أن يوجد العدم شيئاً .

وهذا ما قرره الله بقوله : «أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ »(1) إذاً فالعدم لا يمكن أن يكون هو الأصل في المادة.

فهل الوجود هو الأصل ؟ ، لو كان الوجود هو الأصل لاستحال أصلاً أن يطرأ عليه عدم ، فالعدم نقيض الوجود وما كان الوجود أصلاً فيه فلا يتصور انتقاض أصله بعدم ، والى هذا المعنى أشار قوله سبحانه : «وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ »(2) فما الحياة أصل فيه لا يلحقه موت بحال ، ونحن إذا نظرنا في الموجودات في الكون لوجدناها لم تكن ثم كانت «هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا »(3) ونشاهد في الموجودات تحولات تتجدد حيناً بعد حين من عدم لوجود ومن وجود لعدم ، فهذا إنسان يموت وآخر يولد ، وهذه نبتة تيبس وأخرى تنبت وهكذا ، وهذه التغييرات لا تكون إلا بأسباب مؤثرة لا تنشأ لشيء من ذاته وحده ، فلو كان الأصل في هذه الموجودات هو الوجود لم تكن عرضة للعدم والتغير من حال إلى نقيضه ، ولم تحتج في وجودها إلى أسباب مؤثرة فلا يكون الوجود أصلاً لها بحال(4).

فإذا لم يكن العدم أصلاً للمادة وإلا لم توجد بحال وليس الوجود أصلاً لها وإلا لم يلحقها عدم بحال لزم عقلاً أن يكون لها موجد أو جدها من عدم وأجرى فيها الأسباب المؤثرة في تغيراها . فبطل قولهم بقدم المادة وحركتها عقلاً وحساً .

ولا نجد جواباً عندهم على هذا الإلزام العقلي إلا بقولين يقولونهما :

١- الادعاء أن أصل الحياة لا يزال غامضاً ولم يتوصل العلم إلى معرفته بعد.

٢- قطع الكلام في الأمر والحكم بأنه لا يجوز السؤال عمن أوجد المادة(5).

والأول ينقض عليهم مذهبهم ونقول : انتظروا حتى يتوصل العلم إلى عقيدة تعتقدونها ، والثاني تحكم سامج وانقطاع معلن .

أما ظهور بطلانه فطرة :

---

(١) الطور ٣٥.

(٢) الفرقان ٥٨ .

(٣) الإنسان ١ .

(٤) انظر «موقف الإسلام من نظرية ماركس» ٢٦٩ – ٢٧١ .

(٥) انظر النقول التي ذكرها صاحب «موقف الإسلام من نظرية ماركس» ص ١٣٥ – ١٤٠ .

فلأنه ظهرت في أقوالهم والمرويات عن سلوكهم منازعة الفطرة لدعواهم الملحدة وذلك في وجوه :

١- ردهم الوجود إلى المادة وحركتها ، وهذا رد إلى موجد مدبر عند التحقيق ، ثم إن هذا الموجد المدبر الـذي سموه هم المادة هو عند تحقيق النظر في قولهم غيب غير مشاهد ، لأنهم لم يعينوا المادة التي يعلقون عليها اعتقادهم بعينها ، ولم يعرفوها بما يميزها ، فليست شيئاً ظاهراً مشاهداً ، بل إنهم يحيلون إلى معنى في أذهانهم لم يعينوه لنا في الخارج مع تصريحهم بوجوده خارج الذهن ، ترى آثاره في الخارج لا عينه .

وهذا أوفق مع الفطرة من مراداتهم ، لأن المركوز في الفطرة الإيمان برب موجود ترى آياته ولا ترى ذاته في الدنيا .

٢- ادعاؤهم أن أصل الحياة لا يزال غامضاً ومنعهم السؤال عمن أوجد المادة ومن أكسبها الحركة هو من منازعة الفطرة التي لا يستطيعون التحرر من قيدها ولا الخروج عن سلطانها فيحيدون إلى مثل هذا .

٣- المتداول المشهور في الرواية عن أحد رؤوس هذا المذهب من أنه تعثر يوماً فرفع رأسه إلى العلو وهتف بلغته : يا إلهي .

يقول الدكتور: عبد الوهاب المسيري في سياق كلامه عن المنكرين لوجود الخالق وكوامن عباراتهم : «فالإله الخفي يجعلهم يدركون أن الانتصارات التي تحققها حضاراتهم باسم الإنسان الطبيعي المادي تؤدي إلى وأد شيء مهم جداً في الإنسان ، شيء لصيق بالإنسانية ، نسميه (القبس الإلهي) ولكنهم لا يسمونه وإنما يدورون حوله ، ويتجلى بشكل خفي في كتاباتهم ويعذبهم ويؤرقهم ، ولذا فانه يصدق نعته بأنه (الإله الخفي) » ويقول : «قد لوحظ أن الإنسان مهما بلغ من إلحاد ومادية فإنه لا يقبل المادة المتغيرة إطاراً مرجعياً ، وإنما يبحث عن مركز للعالم ، وعن إطار وعن أرض ثابتة يقف عليها وعن كليات تتجاوز الأجزاء ، وقد أدرك (نيتشه) أن هذا تعبير عن الإله الخفي ، واختار مصطلح «ظلال الإله» ليشير إليه»[1].

ومما ينبغي التنبيه إليه بالذكر هنا أنه قد انتشرت في أواخر القرن السابع عشر في أوروبا – وفي انجلترا على الخصوص – رؤية للخالق تسمى «الربوبية» تتلخص الأفكار الأساسية فيها في :

أن العالم لم يوجد بالصدفة ، وأنه لا يوجد منذ القدم ، وإنما خلقه اله واحد.

إلا أن مهمة الخالق خلق الكون فحسب ، ولكنه لا يتدخل البتة بعد ذلك في شئون هذا الكون ، بل إن علاقته بالعالم في القوانين الطبيعية الثابتة غير المتغيرة التي تحكم المادة وتعبر عن إرادة الخالق وقدرته ، وأي تدخل من الخالق يتناف وقوانين الطبيعة وآلياتها ولذلك فلا حاجة إلى التدخل الإلهي ولا الوحي ولا الرسالات ولا المعجزات، وعقل الإنسان أداة كافية لإدراك قوانين الطبيعة والتوصل إلى الحقيقة الكامنة فيها ومن ضمنها أن لها خالقاً أوجدها.

(١) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ١/١٩٢، و(نيتشه) فيلسوف ألماني، ت:١٩٠٠م. – المنجد في الأعلام-.

وقد شبه الخالق بصانع الساعة يصنعها ثم يملؤها ويضبطها ويتركها بعد ذلك وشأنها تدور بكل دقة ، وهذا تشبيه (نيوتن) وعلى هذا فبإمكان المرء أن يؤمن بالخالق إن شاء كما يمكنه أن يتجاهله إن أراد فالخالق مجرد مصدر للحركة الآلية ولا علاقة له بحركة الحياة ولا بالمعارف الإنسانية[١].

وهذا مع كونه في بادئ النظر إثبات للرب الخالق إلا أنه إنكار لملكه لخلقه ولتدبيره له فهو إلحاد في الربوبية ظاهر. وهذه الفكرة الإلحادية هي أحد الركائز التي تستند إليها العولمة الفكرية التي تقود آليات العولمة الشاملة.

٢- إلحاد القائلين بقدم العالم :

وهو إلحاد الفلاسفة ، وقد اتفق الفلاسفة على أن الرب (علَّة) والعلة عندهم : ما يتوقف عليه وجود معلولها[٢]، وأن الوجود هو معلول هذه العلة ، لكنهم باتفاق يقولون : إنه (علة تامة) أي : يجب وجود معلولها عندها[٣] ومعها لا يتخلف عنها بحال كما لا يتخلف ضوء الشمس عن الشمس ، وقالوا : هو علة تامة قديمة أزلية لا أول لها ومعلولها معها قديم لا أول له ،فقالوا بقدم الوجود وأنه أزلي لا أول له . وهذا يمنع أن يكون للرب على خلقه إحداث وإيجاد ، فلا خلق ولا إيجاد ، هذا ما اتفقوا عليه أولهم وآخرهم وإن اختلفت عباراتهم ، ثم إنهم اختلفوا في نوع العلة الرابطة بين العلة التامة ومعلولها أي في وجه العلاقة بينهما .

فقال الأقدمون ، أرسطو وأتباعه : إن العالم قديم بنفسه واجب الوجود بنفسه ليس له صانع ، وعلته غير فاعلة فيه شيئاً ولا تعلم عنه شيئاً فالرب لم يخلقه ابتداءً وليس له فيه فعل ولا تدبير ولا علم له بما يجري فيه من حركات وأحوال ، وكل ما بين العلة التامة ومعلولها من صلة أنها مبدأ حركة معلولها ، وحتى هذه الحركة ليست فعلاً من العلة التامة في العالم ، ولكنها حركة شوقية ، أي أنها من قبيل الدفع الذاتي الذي يحاول به العالم القرب من صورة العلة التامة والتشبه بها قدر الإمكان .

وحجته في ذلك أن العالم فيه علة مادية وهي وجود الشيء بالقوة ، بمعنى أنه لا ابتداء له ، ثم إن خروج المادة من القوة إلى الفعل وهو (الحركة) لا ابتداء له ، ممتنع أن يكون لحركة المادة ابتداء ، ومقدار الحركة وهو (الزمان) لا ابتداء له ، ممتنع أن يكون للزمان ابتداء ، و(الحركة) و(الزمان) هما صورة وجود المادة . فما دامت المادة قديمة لا أول لها ، وصورتها التي يجب أن توجد بها قديمة لا أول لها ، فالعالم قديم بنفسه أزلي لا أول له ، وحركته ذاتية لا مؤثر عليها من خارجها[٤].

---

(١) انظر العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ٢/٥١-٥٣ .

(٢) انظر التعريفات ١٥٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر الملل والنحل : (رأي أرسطو ، المسألة الأولى والثانية والحادية عشر والثانية عشر) والفتاوى ٦ / ٣٣٣ - ٣٣٦ ، وشرح النونية للهراس ٢/٤٤ -٤٥.

وبطلان هذا القول ظاهر ، فانه قول لا يدل على قدم شيء من الحركات وزمانها بعينه ولا من المتحركات بعينه ، فلا تدل على مطلوبهم وهو إثبات قدم العالم وحركته وزمانه ، بل الدليل منقلب عليهم ، وذلك أن الحركة لا بد لها من محرك ، فجميع الحركات تنتهي إلى محرك أول ، وهم يسلمون هذا[1]، ثم ذلك المحرك الأول الذي صدر عنه حركة ما سواه إما أن يكون متحركاً وإما أن لا يكون متحركاً ، فان لم يكن متحركاً لزم صدور الحركة عن غير متحرك ، وهذا مخالف للحس والعقل ، فان المعلول يجب أن يكون مناسباً لعلته فإذا كان المعلول يحدث شيئاً بعد شيء امتنع أن تكون علته باقية على حال واحدة ، فرجع قولهم إلى قدم نوع الحركة لا أعيانها[2]. فيتحصل من هذا أن المحرك الأول يقوم نوع الحركة بذاته ، فنوع حركته قديم بقدم ذاته ، ثم أعيان حركته ومفرداتها تتجدد ، ويكون كل ما سواه حادثاً بعد أن لم يكن ، وأول حدوثه عند صدور عين حركة إحداثه من المحرك الأول .

وموضع غلط هؤلاء هو عدم تفريقهم بين نوع الفعل القائم بذات الرب وبين عين الفعل المتجدد. وبالتفريق بينهما يظهر الحق . فان كل باطل فمرجعه إلى واحد من أصلين : إما التسوية بين المختلفات ، أو التفرقة بين المتماثلات ، وإبطال كل باطل يكون برده إلى الأصل ، إما التفرقة بين المختلفات ، أو التسوية بين المتماثلات .

وأما متأخروا الفلاسفة ، ابن سينا وأمثاله : فيثبتون للعلة التامة الفاعلية في معلولها ، فيقولون : إن العالم قديم عن علة فاعلية ، ولكن لما كانت العلة تامة يجب لزوم معلولها عنها امتنع عليها أن تكون فاعلة بعد أن لم تكن ، وعليه فيكون معلولها مقارناً لها ، فيكون المفعول مقارناً لفاعله في وجوده لا يتأخر عنه ، فمادام لا أول للفاعل فلا أول لمفعوله فالعالم المعلول للرب قديم لا أول له وإن كان مفعولاً له[3].

وبطلان هذا ظاهر في صريح العقل ، فان صريح العقل قاضٍ بأنه لا بد أن يتقدم الفاعل على فعله ، والفاعل إنما كان فاعلاً لأنه يفعل شيئاً فيحدثه ، فيمتنع أن يكون المفعول مقارناً للفاعل ، فيمتنع أن يكون في مفعولات الرب شيء قديم بقدمه ،فيكون كل ما سواه محدث .

ثم إنه يلزم على قولهم ألا يحدث في العالم حادث ، وهو خلاف المشاهد المحسوس ، فبطل قولهم بمقتضى الحس والعقل[4].

٣- الحاد القائلين بوحدة الوجود :

(١) انظر الملل والنحل : (رأي أرسطو ،المسألة السادسة)

(٢) انظر الفتاوى ٦ / ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(٣) انظر الملل والنحل : (قول ابن سينا ، المسألة الثالثة والرابعة) ج٢ ص ١٦٥ – ١٦٧ ، الفتاوى ٦ / ٣٣٤ .

(٤) انظر الفتاوى ٦ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وهو قول الاتحادية ، متكلمة الصوفية الغلاة ، وهؤلاء ليس لديهم رب ومربوب ، فقد اتفقوا على أن وجود المخلوقات هو عين وجود الرب ليس شيئاً غيره البتة ، والقول بوجود رب ومربوب عين الشرك عندهم ، بل الوجود وحدة واحدة ليس فيه شيء غير الحق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهذا مذهب يقول فيه ابن تيمية رحمه الله وقوله حق : «اعلم هداك الله وأرشدك أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ، لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر ، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة ، بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم ، وإنما ينتحلون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه . ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ، لا يهتدون إلى التمييز بين قولهم ، مع استشعارهم أنهم مفترقون»[1].

وهذا المذهب يبطله المشهود في الكائنات من التفرق والكثرة التي تنافي الوحدة التي يدعونها ، وهم يشهدون هذا ولا ينكرونه ولكنهم لتقرير قولهم ذهبوا يطلبون جمعاً يزيل الكثرة ووحدة تزيل التفرق ، فاضطربوا في ذلك إلى ثلاث مقالات ، تتبعها ابن تيمية رحمه الله وأحصاها وبين كل واحدة منها وكشف وجه باطلها[2]، وخلاصة ما قرره رحمه الله مع شيء من البيان ما يلي :

<u>أولاً : مقالة ابن عربي[3] ،</u> وهي مبنية على أصلين :

١- أن المعدوم شيء ثابت في العدم ووجود الحق فاض عليه .

٢- أن وجود الأعيان هو نفس وجود الحق وعينه ، لأن الحق ظهر في الأعيان الثابتة نفسها ، فقال بالجمع من حيث الوجود ، وبالفرق من حيث الأعيان ، لأن الحق لم يعطها إلا ما كانت عليه في العدم .

وهذا باطل لأن المعدوم ليس بشيء ، لا وجود له ، والعدم نفي محض لا يثبت فيه شيء البتة ، قال الله : «وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا »[4] وفي الحديث : «كان الله ولم يكن شيء قبله»[5] وفيه : «كان الله ولم يكن شيء غيره»[6] . ولكن يبدو أن الشبهة دخلت على هذا القول من حيث أنهم رأوا أن الله يعلم الشيء

(١) الفتاوى ٢ / ١٣٨ .

(٢) الفتاوى ٢ / ١٤٢ – ١٧٠ .

(٣) هو محمد بن علي ، محي الدين ، الملقب بالشيخ الأكبر ، هو قدوة أهل الوحدة ، أندلسي ، أنكر عليه أهل مصر شطحاته وسعوا في إراقة دمه ، استقر في دمشق وتوفي بها . قال العز بن عبد السلام فيه «شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ول يحرم فرجاً» قال الذهبي : «من أراد تواليفه كتاب "الفصوص" فان كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر» ت: ٦٣٨هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨ .

(٤) مريم ٩ .

(٥) أخرجه البخاري ، انظره مع الفتح ١٣/٤٠٣ رقم ٧٤١٨ .

(٦) أخرجه البخاري ، انظره مع الفتح ٦ /٢٨٦ ح ٣١٩٠.

قبل كونه ، وان أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فالمعدوم الذي يخلقه الله بعد أن لم يكن متميز في علمه وإرادته وقدرته فظنوا أن ذلك لتميز ذات للمعدوم ثابتة ، فصار منشأ الغلط أنهم لم يفرقوا بين الوجود العلمي للمعدوم وبين الوجود العيني له ، مع الفرق بينهما فانه يكون في العلم ما لا يوجد عينه كالممتنعات والمستقبلات المتيقنة الوقوع ولم تقع بعد كالنفخ في الصور ونحوه فمثل هذا ثابت موجود في العلم لكنه لا يقع عينه إن كان ممتنعاً ، أو يقع بعد أن لم يكن إن كان متحقق الوقوع ، ففرق بين ثبوت الشيء ووجوده في العلم وبين ثبوته ووجوده نفسه ، فالعالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً .

ثانياً : مقالة الصدر الرومي(١): وهي مبنية على التفريق بين التعيين والإطلاق ، فالرب عنده هو الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة ، وهو لا يتعين ولا يتميز حال الإطلاق فإذا تعين وتميز فهو الخلق ، سواءً تعين في مرتبة الإلهية أو غيرها .

فقال بالجمع من حيث الإطلاق ، وبالفرق من حيث التعيين .

وهذا أكفر من قول ابن عربي لأن قول ابن عربي يحتمل اعترافاً بوجود الخالق القائم بنفسه ، لأنه جعل للحق وجوداً فاض على أعيان الموجودات ولكن كفره في جعله المخلوق هو الخالق ، بل لم يثبت خلقاً أصلاً ، ولم يجعل للرب وجوداً متميزاً عن وجود خلقه .

وبطلان مقالة ابن الرومي ظاهرة ، فان المطلق بشرط الإطلاق الذي لا يتعين بوصف ولا بلفظ يخصصه ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج –مثلاً– : إنسان مطلق بلا قيد بل لا بد أن يتعين بزيد أو عمرو ، إذ لكل موجود في الخارج حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها فليس بشيء . فإذا كان ذلك كذلك فعلى مقالة ابن الرومي هذه لا وجود للحق أصلاً ، فكيف يكون وجود المخلوقات هو وجود ما لا وجود له ؟!

والفرق بين مقالة هذا ومقالة ابن عربي ، أن هذا جعل المظاهر في المتعينات الموجودة وذاك جعلها في الأعيان الثابتة في العدم .

ثالثاً : مقالة التلمساني(٢) : وهي مبنية على نفي الفرق بين شيء ، لا بين الوجود وبين العدم ، ولا بين المطلق وبين المعين ، ولا بين شيء البتة ، فليس عنده سوى ولا غير ولا تفرقة بوجه من الوجوه ، وإنما الكائنات أجزاء منه وأبعاض له ، بمنزلة أمواج البحر في البحر ، وأجزاء البيت من البيت .

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد ، صدر الدين القونوي الرومي ، من كبار تلاميذ ابن عربي وكان ابن عربي تزوج أمه ورباه . ت ٦٧٣هـ . انظر طبقات الشافعية للسبكي ١٩/٥ .

(٢) هو سليمان بن علي ، عفيف الدين ، شرح فصوص ابن عربي ومنازل السائرين للهروي ، واتُّهم بالميل إلى مذهب النصيرية ت ٦٩٠هـ . انظر شذرات الذهب ٤١٢/٥ .

فليس عنده إلا الجمع أما التفرقة فلا محل لها عنده إلا في ذهن الإنسان المحجوب عن شهود الحقيقة فإذا انكشف غطاؤه عاين انه لم يكن غير ، وأن الرائي عين المرئي ، والشاهد عين المشهود ، وهذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله . نسأل الله السلامة من الضلال .

هذا ومما قد يلحق بالقول بوحدة الوجود في عصرنا الحاضر مايسمى بـ «البرمجة اللغوية العصبية» والمقصود به الممارسات التي تحقق الارتباط بالعقل الباطن والاتحاد معه ، كإغماض العينين والاسترخاء والعيش في الفراغ ونحوه مما يسمى بالرياضات الروحية ، والعقل الباطن وهو المطلق اللا متناهي الذي له القدرة على حل كل مشاكل الإنسان وعلاج كل أمراضه ، هو الذي يجعله سعيداً أو شقياً ، غنياً أو فقيراً ، هو الذي يشفيه من مرضه ويغنيه من فقره ، وشعار ذلك عندهم : «أنا أتحكم في عقلي ، إذاً أنا مسؤول عن أفعالي» وسر المسألة في هذا أن الكائنات كلها روح واحدة هي الروح المطلقة غير المتناهية التي تتصرف في الحياة ، هي الإله المتحكم والمتصرف في حياة الإنسان ، والإنسان غافل عن ذلك ومشغول بملاحظة الأسباب والوسائل المباشرة ، فإذا رجع إلى الحقيقة واتحد بالمطلق المتناهي الكامن في عقله الباطن استغنى بذلك عن كل الوسائل وصار المتصرف في حياته . ويعترف مؤسسو البرمجة اللغوية العصبية بأنها قائمة على مذهب وحدة الوجود وفكرة الاتحاد والحلول[(١)].

وهكذا الباطل المداحض للحق يلبس لكل عصر لباسه ، ويتلون لكل جيل بما يناسبه والأصل واحد .

وهذه الوجوه الثلاثة المذكورة من وجوه الإلحاد في الربوبية هي أشد الوجوه بطلاناً وأسوأها قولاً لأن فيها إنكار الرب أصلاً . ثم بقية وجوه الإلحاد في الربوبية فيها إثبات الربوبية ولكن بنحلها لغير الله كقول فرعون : «أنا ربكم الأعلى» فادعاها ونحلها نفسه ، أو بنحل شيء منها وبعض خصائصها لغير الله كمن ادعى علم الغيب وهو رأس من رؤوس الطواغيت ، وكمن ينسب إلى النجوم والأنواء التصرف في الأحوال الجوية ، والى الطوالع والأبراج تقدير الحظ والنصيب ، والى أصحاب القبور هبة الولد والمدد ، والى التمائم والأحراز تقدير الشفاء والحفظ .

والقول الجامع أن كل تنقيص من حظ الربوبية إلحاد مفارق للإيمان مناقض لأصله .

نسأل الله اليقين والثبات ، ونعوذ به أن نشرك به شيئاً ونحن نعلم ونستغفره مما لا نعلم .

والحمد لله أولاً وآخراً لا شريك له .

وكتب / أ.د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني
أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

---

(١) انظر فلسفة الماكروبيوتيك ، للدكتورة : نجاح الظهار ص ١٩١.

ثبت المراجع

١- ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ، النهاية في غريب الحديث (المكتبة الإسلامية ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي) .

٢- الإيجي ، عبد الرحمن بن أحمد ، المواقف في علم الكلام (مكتبة المتنبي ، القاهرة) .

٣- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح (مع كتاب فتح الباري) .

٤- ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى (جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم وابنه محمد) .

٥- الجرجاني ، الشريف علي بن محمد ، التعريفات ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) .

٦- الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح (دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار) .

٧- ابن حجر ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (دار المعرفة ، بيروت ، تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز) .

٨- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ، المسند (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) .

٩- الخولي ، جمعة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

١٠- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة ، بيروت) .

١١- الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، (دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق : محمد سيد كيلاني) .

١٢- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، (دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية) .

١٣- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل (المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، تحقيق : محمد الفاضلي) .

١٤- الظهار ، د. نجاح بنت أحمد ، فلسفة الماكروبيوتك (مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م) .

١٥- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دار إحياء التراث العربي ، بيروت) .

١٦- العوايشة ، أحمد ، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ (جامعة أم القــرى ، الطبعــة الأولى ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) .

١٧- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة (دار الكتب العلمية ، إيران ، تحقيق : عبــد السلام محمد هارون) .

١٨- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تفسير غريب القرآن (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، تحقيق : السيد أحمد صقر) .

١٩- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، الصحيح (رئاسة إدارات البحوث العلميــة والإفتــاء والــدعوة والإرشاد ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م) .

٢٠- المسيري ، د. عبد الوهاب ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، (دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .

٢١- الهراس ، د. محمد خليل ، شرح القصيدة النونية لابن القيم (دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعــة الأولى ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م) .